



الحمد لله والصلوة والسلام على خير خلق الله رسوله محمد سيد الأولين والآخرين إلى يوم الدين، أما بعد:

إن علاقة الدعاء بالأسباب تكاملية، ليست علاقة تناقض أو تناقض، على عكس ما يفعله كثير من الناس فأول ما يقومون به عند الملمات الفزع إلى الأسباب ويداومون على طرق بابها أمداً ليس بالقصير، ثم عند عدم تحقق المراد يتربكون الأسباب ويلجؤون إلى الدعاء، والأسباب هي ما يتوصل به أو يتوصل لتحقيق المراد فيتعاملون مع كليهما بالتوازي أو التتابع وليس بالتوازي!

ليس بين الدعاء والأسباب ترتيب وإنما يلجأ المسلم إلى كليهما معاً، فمن اعتمد الأسباب المادية ولم يلجأ إلى دعاء الله لتحقيق مقصوده فقد ترك شطرًا كبيرًا من الأسباب، كما أن من اعتمد الدعاء وأهمل الأسباب المادية فقد خالف المحسوس الذي لا يدفع ولا ينكر ولو تدبرنا سنة الرسول العظيم لوجدنا أنها زووجت بين الاثنين الدعاء والأسباب المادية، فالدعاء قسم من الأسباب، ولم تقتصر سنته على أحدهما وتركت الآخر، فالرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ بالسبب الذي جعل الله مثله موصلاً لتحقيق المقصود، وفي الوقت نفسه يلجأ إلى دعاء الله؛ فالله رب الكون ورب الأسباب.

وفي ليلة بدر، ليلة الفرقان التي نصر الله في صبيحتها جيش التوحيد على جيش الشرك، أخذ الرسول بالأسباب فأعد العدة المادية كأحسن ما يكون الإعداد ثم لجأ إلى الدعاء، فقام ليه كله يدعوه ربها ويناشده حتى أشفع عليه أبو بكر الصديق وهو يقول له كفاك مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك، فلم يعول على الأسباب والإعداد وحدهما ولم يكتف بالدعاء وحده بل جمع بين الأمرين. وعندما كان يدخل الحرب فمع إيمانه وتسليميه بما قدره الله كان يليس المغفر ويظاهر بين درعيه ويأخذ حذره هو والمؤمنون كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حُذُّوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَّاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا} [النساء: ١٧]، فلا تعارض ولا تناقض بين الأخذ بالأسباب والدعاء.

